مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية- الجزائر | ISSN: 1112-9212 / EISSN 2602-5043
مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات- جامعة الجلفة. الجزائر | مجلد: 11 عدد :02 2018
تاريخ استلام المقال: 2018-06-01 تاريخ المراجعة : 2018-12-20 | تاريخ قبول النشر :2018-12-22

الأهمية السوسيواقتصادية للموروث الثقافي الجزائري "الفقارة أنموذجا"

المؤلف: أحمد دوارة

جامعة تيارت tokarim2008@gmail.com

الملخص: إن الإنسان حين يولد يجد نفسه مضطرا للتكيف مع بيئات فيزيقية، وأخرى اجتماعية وثقافية، وعليه أن يعايشها ويتلاءم معها، ولذلك يستند التفسير في تحليل الشخصية إلى تلك المكونات الثقافية على اعتبار أن البيئة الفيزيقية و الإجتماعية والثقافية هي خصائص عامة يخضع لها سائر الأفراد في المجتمع، وهي القضيةا لأولية أو المسألة الجوهرية في نظرية الثقافة والشخصية، وبالتالي، فتكيف الإنسان مع هاته البيئة هو استغلال ما توفره من امكانيات، أحسن استغلال، من أجل تحقيق توازن سوسيواقتصادي يضمن بقاءه فاستمراره، وتساهم الفقارة في تحقيق تكيف الإنسان الصحراوي الجزائري إجتماعيا، منذ الأزمنة السالفة، عبر حسن تفكيره باستخدامها على أحسن وجه وأدقه، لتوفير أعظم ثروة وأهمها والمتمثلة في الماء، والتعامل معها وفق ما تمليه الطبيعة البيئية بما يضمن بقاء نبعها وتجنب غورها وما ينجر على ذلك من مخاطر إجتماعية واقتصادية. وبالتالي فتجربة الفقارة في الجنوب الجزائري هي خير دليل على ذلك التداخل الثقافي السوسيولوجي بالإقتصادي، والذي جعل منا نتناول هذا الموضوع من خلال تجربة متواضعة سابقة لنا في منطقة الجنوب الغربي، واطلاعنا على جزء من هذا الموروث الثقافي عن قرب، أردنا أن ننشره لننير جزءا من عقول الباحثين الأكارم.A

bstract Therefore, the interpretationisbased on the analysis of personality to those cultural components on the basis that the physical, social and cultural environment are generalcharacteristics to which all otherindividuals in society are subject, namely, the social, cultural, The primaryissue or the fundamental issue in the culture and personality theory. Therefore, human adaptation to thisenvironmentis to exploit the availableresources to achieve a socio-economic balance thatensuresitssurvival and continuity, and contributes to the achievement of human adaptation

Thus, the experience of the "feggara" in the Algerian southis the best proof of this socio-cultural cultural overlap, which made us deal withthissubjectthrough a modestexperiencebefore us in the Southwest, and to sharewith us part of
this cultural heritageclosely, wewanted to publishit to enlighten part of the mindsResearchers.

I المقدمة:

تعد الثقافة من أهم العوامل الأساسية التي تحقق التنمية المستدامة أو التنمية المحلية، فلم تعد التنمية الإقتصادية هي التنمية الوحيدة التي تشبع رغبات الإنسان، وتسعده ماديا وعضويا، بل الإنسان في حاجة إلى إشباع

رغبات أخرى أكثر أهمية من تلك الرغبات المادية والغريزية، مثل: الرغبات العقلية، والرغبات الأدبية والفنية، والرغبات الروحانية والنفسية، وهذا ما توفره الثقافة للإنسان، باعتبارها ثقافة لامادية قائمة على الإبداع والفن والدين والفكر والفلسفة والعادات والتقاليد والطقوس والأعراف.

ويعني هذا أن الثقافة هي كل الإنتاجات المعنوية التي تساهم في تنمية الإنسان عقليا وذهنيا ووجدانيا ومهاريا. وبالتالي، فهي أساس التنمية البشرية المستدامة، إلى جانب الأبعاد الأخرى، مثل: البعد الإقتصادي، والبعد الاجتماعي، والبعد البيئي.

وباعتبار الفقارة نظام شامل تتوافر فيه وتتداخل عديد الأنشطة الدالة والمعبرة على ثقافة المجتمع والمرتبطة ارتباطا وثيقا باستمراره، فوجب أن نوضح في بحثنا المتواضع هذا، تلك العلاقة المباشرة بين هذا الموروث الثقافي والتنمية المستدامة؟ وما مجمل الآليات الإجرائية لتحقيق التنمية الثقافية فالإقتصادية؟

II تحديد المفاهيم:

1 مفهوم الموروث الثقافي:[1]

إن تحديد مفهوم التراث "patrimoine" والثقافة "culture" يسهل علينا ضبط مصطلح الموروث الثقافي فنقول أن الموروث الثقافي هو حصيلة خبرات أسلافنا الفكرية والإجتماعية والمادية، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، موجود في ذاكرتنا، يعيش معنا وهو يتجسد في أشكال مختلفة خلال حياتنا اليومية، في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا ومهما حاولنا القطيعة معه، أو إعلان موته فطريا أو شعوريا، تظل أنساقه وأنماطه العليا محفوظة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة،حتى و إن طرأ عليه تغيير إلا أن هذا التغيير ليس جذريا إنما هو نسبي نتيجة ظروف مفروضة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن بعض الموروثات حتى وإن هجرت ستحفظ في المتاحف كونها من تراث أجدادنا.

فالموروث الثقافي لا نعني به تلك الرواسب والمخلفات الثقافية لماض سحيق فقدت وظيفتها من دون أن تكتسب وظيفة أخرى، لأن هذه النظرة الساذجة للموروث الثقافي تعمل على بتر التاريخ وتسلب حقه في التعبير عن الحاضر، والتأثير فيه، والتأثر به، وتجعله شيئا من مخلفات الماضي السحيق، وإنما آثارها تسكن دائما وجدان أفراد المجتمع فيكون لعناصر الموروث الثقافي، من منظور الأنثروبولوجيين، دائما وظيفة تؤديها "بطريقة أو بأخرى حتى ولو اختلف عن الوظيفة الأصلية، واعتبروا أن المخلفات والرواسب عناصرثقافية موروثة من أوضاع أقدم ثقافيا وأن لها تأثيرها في أرقى الحضارات، كما اعتبروا أن المعتقدات والعادات مخلفات الماضي القديم، و قد اكتسب وجودها

لا عن طريق المعركة التجريبية المؤيدة ولا بالحقائق، ولا بالقانون الوضعي، وإنما بحكم المادة وعلى أساس أنها جزء من التراث.

وبذلك فالموروث الثقافي يعني تلك الأشكال والعناصر الثقافية والمادية والفكرية والإجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، وانتقلت من جيل إلى جيل وصولا إلى الجيل الآني، منحصرة في في ثلاث عناصرهي:

-الموروث الفكري.

- الموروث الإجتماعي.

-الموروث المادي والفنون الشعبية.

2 تعريف الفقارة:

من أهم التعريفاتالإصطلاحية لـ "الفقارة " الفقارة تتشكل من مجموعة من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تتجمع بها المياهالجوفيةوتسير مياه هذه الآبار في مجرى ذي فوهات لمسافات بعيدة حيث تنحدر ببطء عن طريقالإنحدارالتدريجي لهذا المجرى، وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيهالمياهيسمى " الماجن " ومنه تخرج القنوات تحمل المياه إلى بساتين أصحاب " الفقارة "، كل حسب نصيبه ".[2]

3 تعريف التنمية:

تعرف التنمية على أنها "قدرات أي نظام والجهد والعملية التي تضم بين الأهداف الرئيسية لكبار المسؤولين التنفيذيين، وكبار الموظفين الإداريين، من أجل وضع خطةلتقييمسياساتأو استراتيجياتأوبرامجمصممةللتأثير الإيجابيعلىالأوضاعالإجتماعيةفيالمجتمع".

وتعرف أيضا بأنها "قدرة الأفراد والجماعات، والمؤسسات والمنظمات على التفاعل لتحديد وحل مختلف مشاكل الحياة وتجنب وقوعها مستقبلا، وذلك بالإستفادة من مختلف الخبرات والإمكانيات المتاحة".[3]

وتعد الفقارة جزءا من مداخل التنوع السياحي في بلدنا إذا ما ساتغلينا هذا الجانب أحسن استغلال، وأعطيناه العناية اللازمة، وبالتالي فالتنمية السياسية تتمثل في الآتي:

4 مفهوم التنمية السياحية المستدامة:

تعرف التنمية السياحية المستدامة والمتوازنة " SustainableDevelopment " بأنها تنمية يبدأ تنفيذها بعد دراسة علمية كاملة في إطار التخطيط المتكامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية داخل الدولة ككل، أو داخل أي إقليم تتجمع فيه مقومات التنمية السياحية من عناصر جذب طبيعية وحضارية.

ويعرف الإتحاد الأوروبي للبيئة والمتنزهات القومية التنمية السياحية المستدامة، على أنها نشاط يحافظ على البيئة ويحقق التكامل الإقتصاديوالإجتماعي ويرتقي بالبيئة المعمارية.[4]

III خصائص الموروث الثقافي:

1. يشمل الموروث الثقافي الموارد الموروثة من الماضي في جميع الجوانب المادية ، و غيرالمادية بما في ذلك المعالم والمواقع، والمناظر الطبيعية، والمهارات، الممارسات، المعرفة والتعبير عن الإبداع البشري، فضلا عن المجموعات المصانة وتديرها هيئات القطاعين العام والخاص مثل المتاحف والمكتبات والمحفوظات، كما أنه يشمل ما ينبع من التفاعل بين الناس والأماكن عبر الزمن، ويتطور باستمرار، هذه الموارد ذات قيمة كبيرة للمجتمع من وجهة النظر الثقافية، والبيئية والاجتماعية والاقتصادية ومن ثم إدارتها المستدامة يشكل خياراً استراتيجيا للقرن الحادي والعشرين؛ وهو أحد أصول رئيسية للجزائر وعنصرا هاما في المشروع الوزاري.
2. الموروث مورد غير متجدد و فريد من نوعه، وغير قابل للاستبدال أوللتبادل يواجه حاليا تحديات هامة تتصل بالتحولات الثقافية والبيئية، والاجتماعية، والاقتصادية والتكنولوجية التي تؤثر على جميع جوانب الحياة المعاصرة.
3. الموروث الثقافي رأس مال اجتماعي: [5]
4. تعزيز التنوع والحوار بين الثقافات بالمساهمة في شعور أقوى من 'المنتمين' إلى نفس المجتمع وفي نفس الوقت يوسع التفاهم والاحترام بين الشعوب.
5. يساعد على تقليص الفوارق الاجتماعية، وتيسير الإدماج الاجتماعي، والمشاركة الثقافية والاجتماعية وتعزيز الحوار بين الأجيال والتماسك الاجتماعي.
6. يوفر إمكانيات لتطوير المهارات، والمعرفة والإبداع والابتكار.
7. أداة تعليمية فعالة للتعليم الرسمي وغير الرسمي، والتعلم مدى الحياة والتدريب.
8. الموروث الثقافي له أثر اقتصادي هام، فهو جزء لا يتجزأ من القطاعات الثقافية والإبداعية، لأنه :
9. يشكل قوة دافعة قوية للتنمية المحلية والإقليمية الشاملة ويخلق قدرا كبيرا من العوامل الخارجية، وخاصة عن طريق تعزيز السياحة الثقافية المستدامة.
10. يدعم التنمية المستدامة في المناطق الريفية والحضرية والتجدد كما يتضح من المبادرات التي قامت بها العديد من المناطق الجزائرية كغرداية والطاسيلي و تيميمون و تاغيت و غيرها.
11. يقوم بإنشاء أنواع متنوعة من فرص العمل.
12. الموروث الثقافي يلعب دوراً محدداً في تحقيق أهداف استراتيجية الجزائر من أجل 'النمو الذكي والمستدام والشامل' لأنه ذو الأثر الاجتماعي والاقتصادي ويساهم في الاستدامة البيئية.

13. الموروث الثقافي يخترق عدة سياسات عامة تتجاوز الثقافية، مثل تلك التنمية ذات الصلة على الصعيدين الإقليمي والتماسك الاجتماعي، والزراعة، والشؤون البحرية، البيئة، السياحة والتعليم وجدول الأعمال الرقمي، البحوث والابتكار، هذه السياسات تؤثر تأثيراً مباشرا أو غير مباشر على الموروث الثقافي، وفي نفس الوقت يقدم الموروث الثقافي إمكانات كبيرة لتحقيق أهدافها. ولذلك، هذه الإمكانية ينبغي تماما الإعترف بها وتطويرها .
14. الموروث الثقافي مورد استراتيجي مشترك لتطوير مجتمع قائم على القيم الديمقراطية والأخلاقية والجمالية والبيئية، تظهر جليا في لحظات الأزمات.
15. تعزيز الحوار بين الشعوب، فضلا عن تعزيز التعاون مع المنظمات الدولية والمنظمات الحكومية الدولية.
16. الموروث الثقافي يعبئ الموارد المتاحة لدعم وتعزيز وتشجيع المكونات الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية والبيئية والعلمية، عن طريق نهج متكامل وشامل.

IV الفقارة كبناء سوسيواقتصادي:

تتكون الفقارة من مجموعة من الآبار متتالية تنتشر عبر مئات الأمتار وصولا إلى 20 كلم أو تزيد، يتناسب عددها حسب المسافة بين رأس الفقارة، أو عينها الذي هو أول آبارها وبين الواحة والحقول المراد سقيها، يبلغ عمق كل بئر منها حوالي 6 أو 8 متر وقد يصل إلى 20 متر، عند أول آبارها الذي يسمى في منطقة توات الكبرى، براس الفقارة أو عينها، وأما آخر آبار الفقارة الذي منه يظهر الماء على سطح الأرض فيصل عمقه حوالي 0.5 متر، وهاته الابار حفرها السكان بايديهم وسواعدهم، تجلب بواسطتها المياه من الفرشة المائية الباطنية القريبة من السطح، عبر مجرى جوفي اصطناعي " الساقية "، تحفر ابتداءا من السهل إلى الوعر، أي بعكس اتجاه الماء حتى لا يعيق الماء عملية الحفر، كما تنحدر مياه هاته الساقية طبوغرافيا، نحو حوض التجميع المسمى بـ " القسرية "، والذي يوجد بالواحة، فتوزع منه المياه عبر حاجز أفقي مستطيل شكله أقيم بأسفل القسرية، يسمى بـ " حجرة القسرية "، وقد نحت بمادة الصلصال تسمى " التافزة "، كما يوجد بهذا الحاجز فتحات مستطيل شكلها، يتسرب الماء منها بطريقة حسابية دقيقة، تحدد نصيب الفرد من ماء الفقارة حسب قدر ملكيته فيها، تستعمل معها آله معدنية أخرى تسمى بـ " الشقفة " أو " الحلافة "، فتتجه هاته المياه عبر السواقي إلى الأحواض الخاصة بكل بستان ، تسمى هاته الأحواض بـ " الماجن "، والتي تنبع منها هي الأخرى سواقي صغيرة تسقي البساتين الصغيرة المسماة بـ " القمون " ثم إن القائم على توزيع المياه على مستحقيها بالآلات المذكورة سابقا يسمى بـ " الكيال "، وهو ذو خبرة ومهارة في هذا المجال.

وهناك ثلاث شروط حتى يتم استخراج الماء من آبار الفقارة هي:

- وجود المياه الجوفية على عمق غير بعيد عن سطح الأرض.
- وجود انحدار في التضاريس.
- أن تكون التربة صلبة نسبيا وغير قابلة للرشحان، حتى لا تتعرض آبار الفقارة للهدم. [6]

إن أهمية الفقارة بالنسبة للحياة الإجتماعية لا تنحصر في الشرب والغسيل فحسب بل تظهر في عدة أغراض أخرى كثيرة في وقت مضى أي قبل ظهور الخزانات المائية الحديثة، كان سكان الصحراء يعتمدون في حياتهم المعيشية بنسبة كبيرة على مياه الفقارة، بحيث كانت تعد المصدر الوحيد للماء في الصحراء، فلذا إستعملوها في الشرب والغسيل والطهي والري والبناء، كما أنها تحافظ على النمط المعيشي المشترك، فهي عملية ترويض للطبيعة الصحراوية، بطريقة ذكية وبعملية جماعية، دون انتظار المساعدات من السلطة السياسية.[7]

تعتبر الفقارة من المصادر المائية الهامة بالصحراء والتي لم يستطع السكان الإستغناء عنها، فهي الإدارة الرشيدة للمياه،ومع زيادة فاتورة المياه ذات نظام الري الجديد والتي لا يستطيع كل شخص تسديدها، أصبح الرجوع إلى الفقارة أمر ضروري لتغطية المصاريف التي يأخذها هذا النظام سنويا وهنا تتجلى أهمية الفقارة من الناحية الإقتصادية كالتالي:[8]

- الفقارة تعتبر مصدر مائي دائم ومجاني.
- الفقارة تعتبر عامل فعال في تنشيط الزراعة في المنطقة.
- تزيد الفقارة من مردودية الإنتاج الفلاحي ونوعيته ، وهذا راجع للمياه المستخدمة في ري المحاصيل.
- لا تحتاج الفقارة إلى طاقة "كهربائية، ميكانيكية" لإستخراج الماء.
- تمتاز مياه الفقارة بميزة تتمثل في علاج بعض الأمراض بالصحراء مثل فقارة "إديغ" بتيميمون.
- تعمل الفقارة على الحد من إنتشار البطالة وذلك بتوفير مناصب شغل لدى فئة الشباب.

إن أهمية الفقارة في الميدان الفلاحي تتجلى في تزويد المحاصيل النباتية بالمياه، وذلك لأنها أُنشئت لهذا الغرض ولإعطاء منتوج فلاحي جيد، وقد أخبرني الفلاحون أنهم يعتمدون بأكثر من 50% على ما تنتجه مزارعهم في سبيل عيشهم، فبها تزرع "البشنة" التي تعد من أهم المحاصيل التي يعتمدون عليها، خاصة في إعدادا " الحساء " الذي يعد ضروريا في الصباح، والعديد من المحاصيل كالشعير، والخضر والفول السوداني، دون أن ننسى النخيل الذي من دون شك أهم المحاصيل وغيرها. وكل ما تقدمه الفلاحة من إنتاج لأهل المنطقة يعود الفضل فيها لنظام الفقارة، ومن هذه الأهمية نذكر ما يلي:

- تحسين الكمية والنوعية بالنسبة لإنتاج التمور.
- التوسع في الرقعة الزراعية، ومدى ملائمتها لإنتاج مختلف المحاصيل.

V الفقارة مدلول ثقافي:

وقد أثبتت الأدلة الأثرية في شبه الجزيرة العربية القديمة، وفي أماكن أخرى أن حجب مياه الأمطار مع الصخور، وتحويل ذلك إلى الميادين أقرب أساليب الري المستخدمة في البلدان القاحلة. وكان أسلوب آخر يستخدم في الإمارات العربية المتحدة منذ العصر البرونزي حفر الآبار الرأسية لاستغلال المياه الجوفية. يجب أن مجتمعات العصر الحجري الحديث استخدمت نفس الأساليب لتلبية احتياجاتها على الرغم من عدم وجود أدلة أثرية تثبت ذلك من

العصر البرونزي، ومع ذلك، هناك أدلة أثرية كثيرة لاستخدام هذه الطريقة، وبعد نهاية العصر البرونزي اكتشفت المجتمعات التي عاشت خلال العصر الحديدي أسلوب ري جديد، نتيجة للمحاولات الرامية إلى التغلب على الجفاف " الأفلاج "، في العراق وإيران، والصحراء الكبرى الغربية، ويرجع تاريخها إلى العصر الحديدي جنبا إلى جنب مع المستوطنات القديمة المرتبطة بها والواحات القائمة، التي هي المروية بنفس النظام، مشكلة جوهر التراث المائي، الملموسة وغير الملموسة، وينعكس الجزء غير المادي في أساليب إدارة المياه المستخدمة،[9]إذن فالفقارة تعد من أقدم الموارد المائية بصحراء الجزائر، وهي أهم مورد مائي يعتمد عليه الفلاح في القطاع التقليدي،وإلى جانب أهميتها الفلاحية فهي تصنف ضمن المعالم الأثرية، تتعاقب عليها عدة أجيال وأجيال، كما تسأهم في دور الرفع من كفاءة نشاط الجمعيات المكلفة بالتعريف لهذا التراث الحضاري القديم وذلك بإعطائها صورة جيدة، ومكانة مرموقة عالية لكونها منبع حياة أهل الصحراء، مما يحتم على السلطات المحافظة عليها وصيانتها، و تخصيص مبالغ مالية تدعمها.

تزداد قيمة الفقارة يوما بعد يوم خاصة وأنها نظام شامل يحفظ أغلى الثروات وأثمنها، ولعل كما يقول العديد من الباحثين ويتوقعون، الحرب الكونية القادمة ستكون على الماء، وباعتبار صحرائنا الشاسعة مخزنا ضخما للمياه الجوفية باعتبار الأمطار التي تصب في الشمال تغور في جوف الأرض لتستقر في انحدارات الصحراء ومنخفضها، ومن هنا وجب على الحكومة تسطير برامج حقيقية تكفل حماية هذا الموروث الهام في حياة سكان الصحراء، والذي حافظ على استمرارهم وبقائهم، لما يحويه من أنظمة دقيقة في استغلال المياه، بالإضافة إلى ما ينطوي على هذا النظام من ممارسات سوسيوثقافية، حيث يرى " لينتون بوب " أن الممارسات السوسيوثقافية، هي مجموع السلوكيات التي تسلكها الجماعة الإنسانية، والتي تعبر عن ميولاتها الدينية، والنفسية، و تتصف هاته الممارسات السوسيوثقافية حسبه بالآتي:

- من الناحية الدينية أنها تميل للركود وعدم التطور.
- ومن الناحية النفسية تعبر عن الرغبة العاطفية، والروابط الوجدانية الأكثر عمقا.
- ومن الناحية السوسيولوجية تتميز بعضوية الأفراد القائمة على الإختياروالإهتداء.
- كما أنها تتصف بالخصوصية، بسبب اتجاهها المتزمت والمتصلب، غير المنفتح على العالم. [10]

5) يرى " آلبورت " أن الممارسة السوسيوثقافية، تحتوي مثالين مختلفين، ممارسة باطنة وأخرى ظاهرة، أما الممارسة الباطنة فهي تتمثل في المعتقد، في حين الممارسة الظاهرة تتجلى في جملة الشعائر التي يظهرها الممارس، تعبيرا عن وفائه لجماعته وثقافته التي ينتمي إليها.

وهو فعلا ما لمسته من خلال دراسة ميدانية لي في جنوب الغرب الجزائري حيث ترتبط بالفقارة عديد الممارسات السوسيوثقافية التي تعبر عن مدى الإرتباط التاريخي لسكان المنطقة بماضي الأجداد، من خلال طقوس إعادة ترميم الفقارات المتحطمة، حيث يكون التعاون وعلى كافة المستويات، النساء يعددن الطعام، والشيوخ يقومون

برقصات اهل الليل والتي هي في مجملها أذكار وصلاة على النبي المختار، وزالشباب ينزلون غلى الآبار ويصلحون الخلل.

إن الفقارة تعمل على ***تحقيق هوية اجتماعية إيجابية*** فهي تكسب الفرد هويته، من خلال عضويته في الجماعة واكتسابه المعاني القيمية والوجدانية المتعلقة بهاته العضوية، وسعيه بأن يرى جماعته أكثر إيجابية من الجماعات الأخرى التي لا ينتمي إليها [11]، مرسخةبذلك مفهوم الإبداع الإجتماعي "social creativity"، [12] حيث يختار الأفراد الأبعاد والنواحي التي تزيد من إيجابية جماعتهم، على سبيل المثال: الجماعات التي تدرك أنها ذات مكانة مرتفعة في نواح معينة، تختار هاته النواحي لتكون اساسا للمقارنة بينها وبين الجماعات الأخرى، والجماعات ذات المكانة المنخفضة تسعى إلى تقليل الفروق في تلك النواحي، أو تختار نواحي أخرى لتكون وجها للمقارنة، فالمجتمعات الشرقية الإسلامية قد تنظر إلى المجتمعات الغربية على أنها أفضل في نواح معينة كالإقتصاد والتقدم التكنولوجي، لكنها تنظر إلى نفسها على أنها الأفضل أخلاقيا.

وأعيد ضرب المثل بمجتمع الصحراء بالجنوب الغربي الكبير، بما يتجسد في نظام الفقارة مثلا: وبالضبط في طقوس حفر الآبار، وما يصاحبها من مدائح جماعية قبل وأثناء وبعد الإنتهاء من الحفر، تبعث في نفوس الأفراد روح الإحساس بالتضامن ومتجاوزة الزمن من خلال تكرارها وبنفس طريقة الممارسة التي نقلت إليهم أبا عن جد، كعملية تواصلية بين الأجيال.

إن الفقارة نظام ثقافي إجتماعي مبدأه التعاون الجماعي، يظهر ذلك جليا منذ خروج الإنسان الأول للمشاركة في عملية الحفر ، بحيث يتم تقسيم الأفراد إلى مجموعات صغيرة تكون غالبا من أربع أشخاص فما فوق إثنان في الأسفل وأخرين خارج البئر، أما في حالة صيانة الفقارة فيتم الإعلان عن ذلك من سطوح المساجد ليصل النداء للجميع وتتم عن طريق التويزة الخاصة بها التي تتجسد فيها روح التضامن القوية بين الأفراد والتنسيق في العمل، وسط أصوات الدف والمدائح يشارك فيها الجميع سواء كان له نصيب في الفقارة أو لا ولا فرق بين الصغير والكبير، والمرأة والرجل، إذ أن العمل التطوعي إلزامي على كل القاطنين ، حينما يتعلق الأمر بخطر يهدد الفقارة، فالرجال يحفرون والأطفال والشيوخ يشاركونهم المدائح والنساء يعدون الطعام والشراب.[13]

VI خاتمة:

وجب القول في الأخيرانه وبالرغم من اختلاف الدراسات المحددة لأصل الفقارات، لكنها جميعا تتفق في شرحها لنمط عملها كنظام دقيق يخلفه أنساق عديدة من القوانين الفرعية نذكرها في الآتي:

نظام اقتصادي: يحوي مجموعة القوانين المحددة لكيفية استغلال المياه، و تقسيمها تقسيما رياضيا عادلا حسب مساهمات المشتركين.

نظام اجتماعي:يأتي متمِّماً و تابعا للنظام السابق، فطريقة التقسيم واضحة المعالم تبعث في النفوس رضاً ما يؤدي إلى السير الحسن لعملية الاستفادة من مياه الفقاقير دون ميدشاكل قد تعصف بالاستقرار المجتمعي.

نظام ثقافي: إن تداخل النظامين السابقين معا و تكرر هاته الممارسات السوسيواقتصادية يُصيِّرُ من هذا النظام الدقيق (الفقارة) قيمة من القيم المجتمعية الهامة والمحدِدَة لهوية المجتمع وضمان اسقراره.

إذن فالفقارة ليست وسيلة للسقي وفقط بل إحدى العوامل المشكلة و المحددة لهوية المجتمع الصحراوي الجزائري و أيّ خلل بها يؤدي بالضرورة إلى خلل في توازن (النسق العام) المجتمع الكلي.

VII الهوامش:

[1] سناء قحايرية. نوال مناصرة، التراث الثقافي للجزائر من خلال المجلة الإفريقية دراسة تاريخية إحصائية من 6581 م إلى 1954م، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر "ل م د "، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، 2016، ص ص 12_13.

[2] مقدم مبروك، الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2016، ص55.

[3] Morgan, P., &Qualman, A. (1996).Applying Results-Based Management to Capacity Development. Hull: Policy Branch, CIDA, p63.

[4] صلاح زين الدين، دراسة لفرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر، جامعة طنطا، مصر، 2016، ص 13.

[5] Conclusions on cultural heritage as a strategic resource for a sustainable Europe,EDUCATION, (20 May 2014). YOUTH, CULTURE and SPORT Council meeting Brussels.

[6] الإدريسي عبد الله الحمادي، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2010، ص141.

[7] Nadir marouf, alfougarasystèmed'irrigation du désertmerveilleux, 1er Séminaire International sur la Ressourceen eau au sahara,Evaluation, Economie et Protection, ouargla, Algerie, le 19 et 20 janvier 2011, p48.

[8] Boualemremini et autre, la foggaraenalgérie un patrimoinehydrauliquemondial, Revue des sciences de l'eau ,universitéSaadDahlab, Blida, algérie, vol 23,n 2, 2010, pp 105-194.

[9] Icomos, les patrimoines culturels de l`eau (les patrimoines culturels de l`eau au moyen – orient et au maghreb), Le Conseil international des Monuments et des Sites, France, vol1, 2015, p214.

[10] عبد الله الخريجي، علم الإجتماع الديني، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ط2، 1990، ص394.، ص134.

[11] زايد أحمد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006، ص14.

[12] نفس المرجع، ص14.

[13] جعفري أبا أحمد الصافي، من تاريخ توات أبحاث في التراث، دار الحضارة للنشر، الجزائر، ط1، 2011، ص 619.